الاتجاهات الفكرية عند العرب

في عصر النهضة

١٧٩٨ - ١٩١٤

الاتجاهات السياسية والاجتماعية والعلمية

علي المحافظة

الاتجاهات الفكرية عند العرب

في عصر النهضة

١٧٩٨ - ١٩١٤

الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية

الأهلية للنشر والتوزيع

الله أكبر هذا عصر تجديـــد عصر المعارف لا بل عصر تمجيد
عصر جديد له الأكوان باسمة تثني على أهله الغـــر الصناديد

نقولا نقاش
(١٨٢٥ — ١٨٩٤)

تواريخ الطبع: ١٩٧٥، ١٩٧٨، ١٩٨١، ١٩٨٣

جميع الحقوق محفوظة

الأهلية للنشر والتوزيع
بيروت ١٩٨٧

بيروت، الحمراء، بناية الدورادو، هاتف ٣٥٤١٥٦، ص ب ١١٣٥٤٣٣

المحتويات

مقدمة ٩

مدخل ١١

الفصل الأول ٣٥

الاتجاهات الدينية ٣٥

الحركات والدعوات الاصلاحية السلفية ٣٩

الدعوة الوهابية ٣٩

مذهب الشوكاني ٤٤

الالوسيان ٤٩

الحركة السنوسية ٥٥

حركة المهدى في السودان ٦٢

الاتجاهات الحديثة في التجديد الاسلامي ٧٠

جمال الدين الافغاني ٧١

الشيخ محمد عبده ٨٠

الشيخ محمد رشيد رضا ٨٨

الفصل الثاني ٩٥

الاتجاهات السياسية ٩٥

تيار الجامعة الاسلامية ١٠٩

تيار الرابطة العثمانية ١١٨

تيار الوطنية الاقليمية ١٢١

تيار القومية العربية ١٢٩

الفصل الثالث ١٥٧

الاتجاهات الاجتماعية ١٥٧

البحث في أسباب تخلّف المجتمع العربي ١٦١
الدعوة الى الحرية والمساواة ١٧١
الدعوة الى العدالة الاجتماعية ١٧٧
تحرير المرأة ١٨٣

الفصل الرابع ٢٠١
الاتجاهات العلمية ٢٠١
المدارس والكليات العلمية في مصر والشام ٢٠٥
المؤلفات العلمية العربية ٢١٢
موقف العرب من التقدّم العلمي في الغرب ٢٣٦

مراجع الكتاب ٢٤٥

فهرس الاعلام ٢٦١

مقدمة

لم يكن اتصال العرب بالفكر الغربي في القرن التاسع عشر أول اتصال لهم بهذا الفكر . فقد سبق ان تعرّفوا على منابع الفكر الغربي في القرون الأربعة الاولى للهجرة ، من خلال ترجمة الآثار اليونانية في العلم والأدب والفلسفة . وأحرزوا تقدّماً عظيماً في ميادين الفكر المختلفة منحهم قصب السبق والتفوّق على العالم بأسره . وانقطعت هذه الصلة ، تسعة قرون او يزيد ، لاسباب سياسية واقتصادية ودينية . ثم عادت من جديد تحت ظل الابتزاز الدولي والتدخّل السياسي والاحتلال العسكري في عصر التوسّع الاستعماري الاوروبي .

وكان الغرب ، هذه المرة ، قد تجاوز العرب في مختلف مناحي الفكر واتجاهاته ، بينما انغلق العرب على أنفسهم ، واقتصر نشاطهم الفكري على اجترار التراث التليد والتقيّد بالحرف والكلمة . فلما اطلعوا ، لاول مرة ، على منجزات الغرب وقفوا منها موقف المذهول العاجز ، ثم أقبلوا عليها يحاولون فهمها واستيعابها . ولم يتردد فريق منهم في تبني كل ما في الفكر الغربي من منجزات علمية ونظريات فلسفية ومذاهب أدبية وفنية ، بينما وقف فريق آخر موقف الحذر المتردد محاولاً التوفيق بين تلك العلوم والنظريات والمذاهب وبين تراث العرب الفكري وخاصة ما اتصل منه بالعقائد الدينية . وأنكر فريق ثالث تلك المنجزات ، ولم ير فيها شيئاً جديداً يستحق العناية والاهتمام فوقف منها موقف الرافض المستنكر .

لقد تناولت في هذه الدراسة الموجزة الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية التي تكوّنت عند العرب نتيجة اتصالهم بالفكر الغربي في الفترة الواقعة بين حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ وقيام

الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ . وقد اغفلت الاتجاهات اللغويـة والأدبية لاعتقادي بأنها تدخل في مجال الدراسات اللغوية والأدبية التي سبق ان تناولها الأدباء والباحثون بشكل موسّع فأشبعوها بحثاً وتنقيباً وتحليلاً . واقتصرت في دراستي للاتجاهات العلمية على العلوم التطبيقية التي لم تحظ بما تستحق من اهتمام لدى الباحثين . لقد بدأ العرب بالعناية بها بداية سليمة ، قامت على ترجمة المؤلفات والمنجزات العلمية الى اللغة العربية . كما درّسوها في كلياتهم ومعاهدهم العليا بلغتهم القومية أول الأمر . ثم توقفوا عن ذلك قبيل انتهاء القرن التاسع عشر ، فاصيبت لغتهم بنكسة ما تزال تعاني منها حتى اليوم ، وما زالت معظم العلوم التطبيقية في الجامعات والمعاهد العليا العربية تدرس باللغات الأجنبية .

ولا يغيب عن الأذهان ان الاتجاهات الفكرية العربية التي تكوّنت في عصر النهضة تشكّل القاعدة المتينة التي بنيت عليها الاتجاهات الفكرية العربية المعاصرة . وما دعوات الاصلاح الديني والحركات والأحزاب السياسية والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الاولى سوى استمرار وامتداد لتلك التي نمت وترعرعت في عصر النهضة .

لقد حاولت الايجاز وابتعدت عن الغوص في التفاصيل طالما ان الهدف الذي وضعته نصب عيني هو تقديم دراسة شاملة للاتجاهـات الفكرية العامة . وأرجو أن أكون قد وفّقت في تحقيق هذا الهدف .

ولا يفوتني هنا أن أقدّم جزيل شكري للذين ساهموا بجهودهم او بمشورتهم في اخراج هذه الدراسة وأخصّ منهم موظفي مكتبـة الجامعة الأردنية والآنسة سونيا عيسى الفقس التي قامت بنسخ المخطوطة على الآلة الكاتبة .

كما لا يفوتني أن أقدّم شكري للجامعة الأردنية التي ساهمت بدعم نشر هذه المخطوطة .

د. علي محافظة

مدخل

منذ نهاية القرن الرابع الهجري ، بدأت عوامل الضعف والانحلال تدب في كيان العرب ، وتوالت عليهم المحن والنكبات . فتعرّضوا للموجات التركية المتوالية التي لم تعر للفكر والعلم اي اهتمام يُذكر . ثم جاءتهم الحروب الصليبية من الغرب ، وبقيت بلاد الشام حوالي قرنين من الزمان تحت حكم الاوروبيين . وفي القرن السابع للهجرة اكتسحت موجات المغول بقيادة هولاكو ، العالم العربي ، واحتلت بغداد عام ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م . وعاثت فساداً في البلاد وأحرقت ما في دور العلم والأدب من كتب ومخطوطات ثمينة . وبعد ذلك بقرنين تقريباً ، زحف تيمورلنك على دمشق فمثّل الدور الذي قام به هولاكو في بغداد .

وفي مطلع القرن السادس عشر الميلادي فتح الأتراك العثمانيون البلاد العربية . وظلّت طوال القرون الثلاثة الاولى من حكمهم في عزلة تامة عن العالم الخارجي . وبينما شهدت اوروبا نهضة علمية وأدبية ، رافقتها اكتشافات جغرافية وحركة استعمارية ضمنت لها السيطرة على العالم الجديد وعلى العديد من أقطار العالم القديم في افريقيا وآسيا ، واجتاحتها في القرن الثامن عشر ثورة صناعية وأخرى سياسية واجتماعية قلبت اوضاعها رأساً على عقب ، وأعطتها مركز القيادة للعالم بأسره . بينما كانت هذه التطورات تجري في اوروبا كان العرب منغلقين على أنفسهم في ظل الحكم العثماني ، فلا اختراع ولا تقدّم في العلوم والصناعة ، بل جمود فكري وترديد لما ورد في الكتب الفقهية والنحوية والصرفية .

واقتصرت العلوم عند العرب في هذه الحقبة الزمنية على المعلومات القديمة في اصول الدين والفقه والنحو والصرف وبعض الحساب البسيط

والفلك القديم لمعرفة اوقات الصلاة . واكتفى العلماء العرب باجترار المعلومات القديمة دون الاقدام على أي تجديد .

ورافق ذلك كله تفكّك في الدولة العثمانية وانحلال في الولايات العربية منها ، وتمرّد على السلطة المركزية ، وانتشار للظلم والاستبداد . فقد احتلت النمسا وروسيا بعض الممتلكات العثمانية في اوروبا وتقدّمت روسيا القيصرية في آسيا ، واحتلّت أراض شاسعة من ممتلكات العثمانيين . وأصبحت بلاد الشام ومصر شبه مستقلتين تحت حكم الأمراء المحليين والمماليك . وأصبح الجيش العثماني عاجزاً عن حماية حدود الدولة من هجمات الأعداء . واستشرى نظام الامتيازات حتى غدا تدخلاً سافراً في شؤون الدولة الداخلية ، وتنافساً دولياً على مناطق النفوذ فيها .

في هذا الوضع كان الدين هو المسيطر على حياة الناس الفكرية . وكان علماء الدين يشكّلون الطبقة الفكريّة الوحيدة في الأمّة ، يشاركهم في ذلك مشايخ الطرق الصوفية التي عمّ انتشارها في مختلف أنحاء البلاد العربية .

علماء الدين

كان علماء الدين في الدولة العثمانية يعتبرون أنفسهم حماة الشريعة والحريصين على التمسّك بمذهب أهل السنة . اذ كان دين الدولة الاسلام ومذهبها الرسمي هو المذهب الحنفي . وكان على رأس هؤلاء العلماء شيخ الاسلام ، ووظيفته شبيهة بوظيفة الخليفة العباسي ، الذي كان يقيم في القاهرة في ظل حكم المماليك ، وكانمركزه معادلاً لمركز الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) . ويتمتّع شيخ الاسلام بصلاحية اصدار االفتاوي في القضايا الكبرى . فقد يصدر فتوى بعزل السلطان . وكان له حق اعلان الجهاد . ولكنه من الناحية العملية يعين من قبل السلطان . وأصبح شيخ الاسلام يتمتع بصلاحية واسعة في القرنين السابع

عشر والثامن عشر ، بسبب ضعف السلاطين .

ويلي شيخ الاسلام في منصبه « قاضيا العسكر » في الروملي والأناضول وقاضي استانبول . ويليهم عدد من القضاة يكونون جميعاً مع شيخ الاسلام « المجلس الأعلى للعلماء » (١) .

ويندرج في طبقة العلماء المفتون والأئمة والخطباء والوعّاظ والمؤذنون والقائمون بشؤون المساجد . وكان الخطباء يعينون من قبل السلطان بصفتهم ممثليه في صلاة الجمعة بفرمان « خطي شريف » (٢) .

وفي مصر ، كان شيخ الأزهر ومجلس العلماء الذي يرأسه ، يتمتعون باستقلال ذاتي . فهم الذين يشرفون على الشيوخ ويتصرفون بأمر تعيينهم ونقلهم وعزلهم (٣) .

وكان للعلماء ، بوجه عام ، دور هام في ادارة شؤون الدولة العثمانية ، وفي المشاركة في السلطة . وظلّوا يتمتعون بهذا الدور وباحترام السلطة والشعب لهم ، حتى القرن الثامن عشر ، عندما أخذ شيوخ الطرق الصوفية (الدراويش) ينازعونهم ذلك الاحترام (٤) .

وأصبح العلم ، مع الزمن ، احتكاراً لأسر معيّنة ، وغدت طبقة العلماء طبقة اجتماعية ذات امتيازات خاصة . واتخذت موقفاً صلباً ضد كل تجديد في عالم الفكر . فقد قاوموا ادخال المطابع الى الدولة ، وطباعة الكتب الدينية الاسلامية . ولما منح ابراهيم المتفرقة ، المجري الأصل ، رخصة لتأسيس اول مطبعة في استانبول في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، نصت « الفتوى » على حقه في طباعة المعاجم والكتب العلمية والتاريخية فقط (٥) .

---

(١) Inalcik, Halil: The Ottoman Empire, pp. 183-185.
Gibb and Bowen: *The Islamic Society and the West*, vol. I part II, pp. 85-86.

(٢) Gibb and Bowen: *The Islamic Society and the West*, vol. I part 2, p. 98.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٩.

(٤) المصدر السابق ، ص ١١١.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٣.

وكان العلماء هم المشرفون على التربية والتعليم في الدولة . وفي البلاد العربية كان الأزهر أضخم المؤسسات العلمية . اذ كان يحتوي على سبعين استاذاً في القرن الثامن عشر . وكان يتبع له عدد من المدارس والمعاهد في القاهرة والمدن المصرية الأخرى . وكان معظم أساتذتها من خريجيه . وفي بلاد الشام كانت دمشق وحلب أهم مركزين للثقافة . وقد وجدت عدة مدارس محلية في القدس ونابلس وغيرهما من المدن الشامية . ويذكر محمد خليل المرادي في كتابه « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » ، ان دمشق كانت تضم حوالي خمسة وأربعين مدرسة في القرن الثامن عشر الميلادي (٦) . أما العراق فكان نصيبها من الثقافة والعلم في هذه الفترة أقل من غيرها من البلاد العربية . الا انها حافظت على بعض التقاليد التعليمية في عصور البلبلة والفوضى التي تلت احتلال المغول لها عام ١٢٥٨م . وكانت بغداد والبصرة والموصل والنجف وكربلاء من أهم مراكزه الثقافية . وكانت مكة والمدينة من المراكز الثقافية الهامة في هذه الفترة ، وغالباً ما استقبلتا العلماء من البلاد العربية وغيرها من أقطار العالم الاسلامي .

وكانت معظم المدارس والمعاهد تعيش من الأوقاف والتبرّعات . ويعتبر الأزهر أغناها لما كان يملكه من عقارات وقفية وما يصله من معونة حكومية . وكان يشارك مسجدي مكة والمدينة بهذه المعونة الرسمية التي كانت امتيازاً لهذه المساجد الثلاثة فقط .

ولم يكن للتعليم في هذه المدارس والمعاهد برنامج محدد . فقد كانت السنوات الثلاث الاولى مخصصة للدراسة الابتدائية ، كما هي الحال في المدارس القرآنية ثم يتابع التلميذ دراسة الدين والفقه والمنطق والحساب البسيط على يد أحد الشيوخ المشهورين. وغالباً ما يتخصّص الطلبة بعد ذلك للالتحاق بوظيفة كاتب او قاضي او مفتي أو إمام . وقليلون منهم كانوا يستمرون في دراساتهم حتى يصبحوا معلّمين أو أساتذة في المعاهد

---

(٦) المصدر نفسه ص ١٥٥.

العليا . ويحدّثنا محمد خليل المرادي في كتابه السابق الذكر عن عيوب التعليم في الأزهر فيحصرها بما يلي :

١ — قبول أبناء الذوات في الأزهر ممن لا يتمتّعون بمستوى تعليمي جيّد .

٢ — تدني مستوى الأساتذة .

٣ — استئثار بعض الأساتذة بتعليم كثير من المواد بحيث يعينون بدلاء عنهم لقاء راتب زهيد .

٤ — تحديد الموضوعات وضيق النظر في التدريس . فقد كان الهدف في التعليم تلقّي بعض المعلومات المحدودة . أما تجاوز هذه المعلومات أو مجرّد التساؤل عن صحتها فقد يثير شكوك ومقاومة العلماء ، أو قد يصل الى حدّ العقاب والطرد من المعهد أو فقدان مصدر العيش ، ناهيك عن التشهير (٧) .

ولكن بالرغم من هذه العيوب التي كانت عامة في جميع المعاهد في العالم العربي ، فقد كان « العالم المسلم » طالباً للعلم يسعى وراءه اينما وجد ، ويجدّ في طلبه مهما بَعُد . فساعد ذلك على الاتصال الدائم بين العلماء وتبادل الآراء والأفكار فيما بينهم .

هذا ما كان في المشرق العربي ، أما في المغرب العربي فلم تكن الحال أحسن . ففي ليبيا ، كانت طرابلس ، على عهد أسرة القرامنلي ، عاصمة للثقافة . واشتهرت بجامعها الكبير . كما وجدت مراكز ثقافية أخرى في مصراته واجدابية . واقتصر التعليم العالي الاسلامي على جامع أحمد باشا القرامنلي في طرابلس ، حيث تُدرّس مواد اللغة والأدب والتفسير والحديث والفقه والحساب والمواقيت الفلكية والمسالك الجغرافية (٨) . أما في تونس فكان جامع الزيتونه المركز الثقافي الأوّل . وقد بُني في عهد الوالي عبد الله بن الحجاب سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م .

---

(٧) المرادي ، محمد خليل . سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .

(٨) الكعاك ، عثمان ، مراكز الثقافة في المغرب ، ص ١١٨ ، ١٢٦ .

تخليداً لذكرى انتصاراته في غزوات فرنسا . وأتمّ بناءه على شكلـه الحالي أبو العبّاس محمد بن الأغلب ، في عهد المعتصم العباسي . وكانت تُدرّس فيه ، في القرن الثامن عشر ، الموضوعات التالية : العلوم الدينية من تفسير وحديث ، والعلوم شبه الدينية مثل الشريعة والتوثيق والفرائض والميقات ، والآداب من نحو وبلاغة وعروض ونقد أدبي ومنطق (٩) . واشتهرت الجزائر بمسجدها الأعظم ، واهتم الأتراك ببنائه وبناء الكثير من الجوامع . ويذكر ان الجامع الأعظم في الجزائر كان يحتوي على أربعين الف مخطوطة في العهد العثماني . وانتشر في الجزائر « المسيد » كمركز تعليمي وثقافي في كل مدينة وقرية . وهو في الأصل مسجد خاص يبنيه أحد الأثرياء للتعليم . ويقتصر التعليم فيه على الدين واللغة العربية . ولذلك كان للمسيد دور هام في نشر الاسلام واللغة العربية بين البربر . وظل هذا النوع من المدارس في الجزائر حتى مطلع القرن التاسع عشر (١٠) . ونشـأت في الجزائر ايضاً المدارس الحكومية ، في عهد الحفصيين ، مثل مدرسة ابي مدين ومدرسة الإمام ، وكانت لها نزعة سياسية (١١) .

واشتهر المغرب الأقصى بجامعة القرويين في فاس التي انفردت عن المعاهد في العالم العربي بتدريس الطبّ حتى أوائل القرن التاسع عشر. ويعود بناء جامع القرويين الى فاطمة ام البنين التي أسّسته عام ٢٥٥هـ . وازدهر في عهد بني مرين . وأصبح موئلاً للعلماء العرب المهاجرين من الأندلس منذ القرن الخامس عشر الميلادي (١٢) .

الطرق الصوفية

التصوّف قديم في الاسلام يرجع الى عهوده الاولى . وكان المتصوّفون

---

(٩) المصدر السابق ، ص ١٠١ – ١٠٧.
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٧٠-٧٢.
(١١) المصدر نفسه ، ص ٧٥-٧٨.
(١٢) المصدر نفسه ، ص ٥٨-٦٢.

الاوائل يميلون الى الانقطاع للعبادة والانعزال والهدوء . ومنذ القرن الثاني عشر الميلادي ، اعتنقت طرق الدراويش الأفكار الصوفية وانتشرت مع الزمن حتى أصبحت على نطاق شعبي واسع ، فاعتنقها العوام والأميون في المدن ، وغدت هذه الطرق مؤسسات اجتماعية ومراكز ثقافية وحركات سياسية يحسب حسابها .

وقد أثار نمو الطرق الصوفية الجديدة الشكوك في نفوس علماء الدين ، أول الأمر ، فناصبوها العداء واتهموا أتباعها بالشعوذة والهرطقة. ولذا سعى مؤسسو هذه الطرق الى حماية أنفسهم من العلماء والسلطات الرسمية بان أعلنوا ولاءهم وتبعيتهم لأحد الائمة الكبار من أهل السنة . كما أثار انتشار هذه الطرق عداوة الاشراف من أهل البيت الذين رأوا عامة الناس يركضون وراء شيخ الطريقة يتمسحون به ويرجون التبرّك به ، بعد ان كانت مثل هذه الأمور مقصورة عليهم ، بصفتهم أهل بيت الرسول (ص). ولم تنج هذه الطرق الصوفية من عداء الحكّام المحليين الذين كانوا يرهبون كل حركة شعبية مهما كان مصدرها ونوعها .

الا ان خصومة العلماء والأشراف والحكّام للطرق الصوفية لم تضعفها بل زادت من شعبيتها بين الجماهير التي كانت تنظر بعين الكراهية الى السلطة ووسطائها (١٣) . وانتشرت الطرق الصوفية في الدولة العثمانية وأصبح لكل حرفة ولكل مجموعة من الناس حلقة صوفية او حلقات ذات صلة باحدى الطرق الصوفية الكبرى (١٤) .

ولكن مهما اختلفت طرق الدراويش او المتصوفة ، فقد تشابهت في كثير من خصائصها العامة . اذ كان لكل طريقة « تكية » او « رباط » او « زاوية » يقيم فيها الدراويش او يزورونها في حلهم وترحالهم . وانتشرت هذه الزوايا بشكل واسع في شمال افريقيا . وكانت على

---

(١٣) Inalcik, H., *The Ottoman Empire*, pp. 197-202.
Evans-Pritchard, E.E: *The Sanusi of Cryrenaica*, pp. 2-3.

(١٤) Gibb & Bowen: *Islamic Society and the West*, vol, 1 part 11, p. 78.

أنواع . ففي تونس وجدت الزاوية العسكرية والزاوية الطرقية وزاوية الولي . اما الاولى فكانت لتعليم الشباب روح القبيلة والامتثال العسكري والفنون الحربية من رماية وفروسية ومدفعية وأعمال هندسية . أما الزاوية الطرقية مثل القادرية والشاذلية والعروسية والرحمانية والتيجانية والعيساوية والعزوزية والسلامية فكانت تشتمل على قسم للتعليم العام وقسم لتعليم اصول الطريقة . والتعليم الأخير يتألف من « العادة » اي الأناشيد المشتركة بين الطرق الصوفية ثم « العمل » وهو الذكر والانجذاب والتخمّر على نغمات الأناشيد من قصائد وأزجال وموشحات الفاظها تصوفية « المألوف » . واشتهرت الزوايا العزوزية بتعليم الموسيقى والأناشيد . واما زوايا الأولياء فكانت تقام حول أضرحتهم وتوقف عليها الأموال والعقارات . وكان الطلبة يقيمون فيها ويعيشون على مواردها ويلتحقون بعد تخرّجهم بجامع الزيتونة (١٥) .

وفي الجزائر وجد نوعان من الزوايا : الزوايا الحرّة اي التي لا تنتسب الى ولي او طريقة صوفية، والزوايا الطرقية كالطيبية والتيجانية والقادرية والرحمانية والدرقاوية والعيساوية وغيرها . وتدرّس الزاوية حفظ القرآن الكريم وبعض التفسير البسيط والحديث الشريف والفقه والحساب وبعض المحفوظات الأدبية (١٦) .

اما في ليبيا فقد نشأت الأربطة (جمع رباط) الصحراوية لحماية الثغور البرية من هجمات السودانيين . وكان الرباط حصناً دفاعياً ومركزاً ثقافياً للعلوم الاسلامية واللغة العربية . وامتدت هذه الأربطة من خليج غانه الى البحر الأحمر ، على طول طريق الحج . وأخذ الطلبة الافريقيون يرتادونها طلباً للعلم ، حتى يبلغوا مكة ويرجعون « مرابطين » اي أساتذة مزودين بالعلم والبركة القدسية . والرباط معهد ديني قبل كل شيء . كان تلامذته يقومون « بالعادة » و« العمل » اي الموسيقى والأناشيد

(١٥) الكعاك ، عثمان، المراكز الثقافية في المغرب ، ص ٩٨-٩٩.
(١٦) المصدر السابق ، ص ٧٢-٧٥.

الدينية الحماسية والدروشة التي تقام يومي الخميس والسبت من كل أسبوع . ويقال في حلقات « العمل » الشعر الصوفي . ولكن هذه الأربطة زالت بزوال دولة المرابطين . ونشأت مكانها الزوايا في عهد دولة الموحدين . وأصبح الهدف منها بث الدعوة الاسلامية بين البربر والزنوج فقامت الطريقة الشاذلية وزواياها في القرن السادس الهجري ، والطريقة السلامية الطرابلسية في القرن التاسع الهجري (١٧) .

اما في المشرق العربي ، فقد انتشرت « تكايا » الدراويش التي كانت تقام حول قبور مؤسسي او شيوخ الطرق الصوفية . فكانت محجاً لأتباع الطريقة ومريديها . وأشهر الطرق الصوفية في المشرق العربي ، الطريقة النقشبندية ، التي كان من أشهر اتباعها في القرن الثامن عشر الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي المولد ، والشيخ خالد النقشبندي في العراق ، في القرن التاسع عشر . ولم يتقيّد أتباع هذه الطريقة بأصول الشريعة الاسلامية بل مارسوا التأمّل الصامت وحبس النفس ، المأخوذ عن بعض مظاهر « اليوغا » الهندية (١٨) .

وانتشرت الطريقة « الخلوتية » ايضاً في سوريا ومصر . وكان أشهر أتباعها في القرن الثامن عشر ، الشيخ مصطفى البكري من دمشق (ت ١٧٤٩م) ، وقام بالدعوة لها في مصر ، وفي مطلع القرن التاسع عشر أصبح شيخ الخلوتية . وظهرت الطريقة الشيخية في العراق في القرن التاسع عشر على يد أحمد الاحسائي المتوفي حوالي عام ١٨٢٦م ، وانتشرت انتشاراً واسعاً (١٩) . كما كان للطريقة القادرية (المنتسبة الى الشيخ عبد القادر الكيلاني) أنصار كثيرون في العراق وفي مختلف أنحاء العالم العربي .

---

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١١٩–١٢٢ .

(١٨) Evans-Pritchard, E. *The Sanusi of Cyrenaica*, p.3.
Gibb and Bowen: *Islamic Society and the West*, p. 186.
عبد الحميد محسن ، الالوسي مفسراً ، ص ٥٨ .

(١٩) نوار ، عبد العزيز ، داود باشا والي بغداد ، ص ٣٠٨ .